## الفصل الرابع

# عبادة المادة

يعبر المستشرق ليوبولدفايس عن عبادة الأوربى المعاصر فيقول (إن الأوربى العادى سواء عليه أكان ديمقراطيا أو فاشيا، رأسمالية أو بلشفيا، صانعا أو مفكرا: يعرف دينا واحدا، هو التعبد للترقى المادى، أى الاعتقاد بأن ليس فى الحياة هدف أخر سوى جعل هذه الحياة نفسها أيسر فأيسر، أو كما يقول التعبير الدراج: "طليقة من ظلم الطبيعة".

أما هياكل هذه الديانة فهى المصانع العظيمة، ودور السينما، والمختبرات الكيميائية، وباحات الرقص، وأماكن توليد الكهرباء.

وأما كهنة هذه الديانة فهم الصيارفة والمهندسون وكواكب السينما، وقادة الصناعات وأبطال الطيران.

وأن النتيجة التى لا مفر منها فى هذه الحال هى الكدح وبلوغ القوة والمسرة.

وذلك بخلق جماعات متخاصمة مدججة بالسلاح، ومصممة على أن يفنى بعضها بعضا حينما تتصادم مصالحها المتقابلة.

أما على الجانب الثقافى فنتيجة ذلك خلق نوع بشرى تنحصر فلسفته الأخلاقية فى مسائل الفائدة العملية، ويكون أسمى فارق لديه بين الخير والشر إنما هو التقدم المادى)[1].

ويذهب الأستاذ إسماعيل مظهر فى نفس الاتجاه، فيقول:

(لماذا حمل دكتور شبلى شميل على الأديان؟

حمل عليها متابعة لرأيه المادى جريا وراء غاية محدودة، غاية سعى إليها كثير من ماديي القرن الثامن عشر.

---

(١) الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة د. عمر فروخ، ط بيروت، التاسعة ١٩٧٧ ص ٤٧ أخر...

وتنحصر تلك الغاية فى أن يتبدل الناس بدينهم دينا أخر...

وما هو ذلك الدين؟

هو عبادة المادة.

أرادو أن ينظروا إليها على أنها لامصدر الأول للإنسان والعلة الأولى التى فطرته، وأنها التى تحبوه بأسلوب الحياة التى ينعم بها فوق هذا الأرض.

ناهيك بأن إليها مرده ومعاده).

والتعبد للمادة ليس سنة المادية المحدثين فحسب، بل هو سمة أسلافهم أيضا.

أنظر ما يقوله الإمبراطور مارك أنطونين أحد أعلام الرواقيين، وهم ماديون:

(إننى إنما أتكون من صورة ومادة، كلاهما لا يمكن أن يعدم إلى لا شئ أو يكون قد حدث من لا شئ.

كل ما يلائمك أيها الكون الفسيح يلائمنى.

وكل ما تنتجه أسبابك أيتها الطبيعة العظمى ثمرة شهية عندى، منك كل شئ. وفيك كل شئ)[1].

**٣ـ عبادة المادة عند هولباخ:**

تقوم مادية هولباخ الدجماطيقية (القطعية) على تأليه المادة أو وصفها ببعض الأوصاف التى يختص بها الله كما أنها تقوم على الأسس التالية:

(أ) فهى تقوم على الاعتقاد بأن المادة موجودة بذاتها، ومن ثم فلأ حاجة إلى البحث عن قوة صانعة لها، أو مدبرة لحركتها.. وقد بينا فى موضع آخر[2] فى مناقشتنا لحقيقة الخلاف بين الماديين والمؤمنين حول المعبود ما تقع فيه المادية من قصور وتقصير، وتناقض لا يمكن تجنبه إلا بالاعتقاد بوجود الله.

كما بينا فى نقد العلم الخالص عجزه بحسب طبيعته عن الامتداد فى الماضى إلى

---

(١) ملقى السبيل ص ٣٤، ص ١٥٥.

(٢) أنظر موضوع "تعقيب على أو ثان العلم" فى الصفحات التالية.

حد يدرك فيه أصل الوجود، وعن الامتداد فى المستقبل إلى حد يدرك فيه غايته، ومن هنا تصبح المادية فى حكمها على أصل الوجود، بغير سند من العلم[1].

(ب) وتقوم مادية هولباخ: على أدعاء أن الإيمان بالمادة "المعلومة" أولى من الإيمان بغيرها من القوى المجهولة يقول:

(إنه لأقرب إلى الطبيعى والمعقول أن ننسب إلى المادة كل شئ موجود، لأن كل حاسة من حواسنا تبرهن على وجودها[2]، من أن نعزو تكون الأشياء لقوة مجهولة).

وقد بينا هنا فى مبحث "غيبيات المادة" سذاجة هذا الاعتقاد، حيث ألت المادة إلى شئ مجهول، وبينا فى مبحث عجز العلم عن إدراك حقيقة الأشياء أن الإدراكات الحسية لا تشبه حقيقة المادة المدركة فى شئ[3].

(جـ) وتقوم مادية هولباخ على الاعتقاد بأن "العلم النبوتونى" يتضمن تفسيرا كاملا للكون، ولا يحتاج لإضافة من أى نوع[4].

وقد بينا أيضا سذاجة هذا الاعتقاد حيث تداعى التصور النيوتونى للعالم، وجاءت الفيزيقيا الحديثة، والنظرية التطورية بما يقلب هذا التصور، كما بينا ما استقر عليه الرأى من أن العلم التجريبى إنما يقدم وصفا تفسيريا للواقع الجزئى، ولا يقدم تفسيرا كونيا عنها[5] الأمر الذى يحتم أن تكون هنا إضافة، إضافة أساسية ترضى حاجة العقل إلى التفسير.

ولن تأتى هذه الإضافة إلا من مصدر له علم بما وراء المادة وظواهرها، أى من الوحى.

---

(١) أنظر الباب الرابع من هذا الكتاب.
(٢) ملقى السبيل ص ١٣.
(٣) أنظر الباب الرابع من هذا الكتاب.
(٤) أنظر تكوين العقل الحديث جـ١ ص ٤٣٦.
(٥) أنظر مبحث نقائض العلم وعجزه عن التفسير فى الباب الرابع من هذا الكتاب.

(د) وتقوم مادية هولباخ على الاعتقاد بحتمية القوانين الطبيعية وأن هذا يبطل الاحتجاج بوجود النظام فى الكون على وجود الله.

وقد بينا بطلان هذا الاعتقاد فى مبحثينا عن لا حتمية القوانين الطبيعية وأن هذه الحتمية – على فرض ثبوتها – لا تلغى القول – بالإرادة الألهية[1].

(هـ) وتقوم مادية هولباخ على إنكار القول بأن الكائنات الذكية، تستمد ذكاءها من غير المادة فمن ثم يدل على علة ذكية قائمة وراء المادة.

ينكر هولباخ ذلك برد الذكاء أو العقل أو الوعى إلى المادة باعتباره ظاهره من ظواهرها.

وقد بينا فساد هذا الاعتقاد فى مبحث القوانين والإرادة الألهية.

وعلى فرض صحته، فإنه يجعل المادية تؤول حتما إلى الدخول فى حظيرة اللاأدرية، وذلك لأن هذا الاعتقاد يجعل "الوعى" اسما لحالة توافقية من حالات تشكل المادة....

وهنا تصبح المعرفة الناتجة عن هذا الحالة التوافقية – حالة عرضية مفتقرة إلى أى مبرر يدعونا إلى اتخاذها حكما على حقيقة الوجود، وكونه وجودا ماديا.

٤ – **أما هربرت سبنسر** فإنه إذا كان قد ابتعد عن الديانة المسيحية فقد أخذ يتعبد لما سماه "المطلق".

وإذا كان المطلق عنده لا يمكن معرفته، فإنه يصف هذه اللاأدارية بأنها (هى على التحقيق عند العقل البشرى الاتجاه الدينى نفسه).

ويصف المطلق – مع ذلك – بأنه له وجودا (يبلغ مع سموه على العقل والإرداة مبلغ سمو العقل والأرادة على الحركة الميكانيكية).

وهو يرتعد فرقا عندما يخلو إلى نفسه ليتأمل هذا المطلق[2]. الذى هو كما يصرح هنا "المكان اللانهائى".

---

(١) انظر مبحث حتمية القانون لا تلغى الإرادة الألهية فى الباب الثالث من هذا الكتاب.

(٢) انظر العلم والدين لأميل بوتروص ٨٩.

يقول (الأصل الكلى فكرة سابقة على كل خلق وكل تطور، ويسمو عليهما إلى غير نهاية امتدادا وزمانا، لأن كلا منهما – لكى يكون معقولا – يجب أن تكون له بداية ولا بدء للمكان(!).

إن فكرة هذه الصورة العارية عن الوجود[1] (!) والتى يرتادها الخيال من جميع أطرافها تحتوى دائما على مناطق مجهولة لاحد لها بالإضافة إلى الأجزاء التى ارتادها العقل. إن تمثل مكان يرد فيه نظامنا النجمى الهائل إلى نقطة فى بحره لأمر رهيب يشق على العقل. وكلما تقدمت بى السن أحدث الشعور – الذى لا أعرف له أصلا ولا علة – بأن المكان اللانهائى قد أوجد – (!) وينبغى أن يوجد دائما، أحدث فى نفسى انفعالا يجعلنى أرتعد فرقا)[2].

وهنا يدافع هربرت سبنسر عن نفسه ضد من يرى أن هذه اللاأدرية تؤول إلى "اللادينية" مقررا أنها (على التحقيق هى عند العقل البشرى الاتجاه الدينى نفسه).

يقول:

(أولئك الذين يذهبون إلى أن اللاأدرية ترادف اللادينية إنما يقعون فى هذا الخطأ لاعتقادهم أن الاختيار هو بين القول بالشخصية وبين صورة من الوجود اقل منها، فإذا قلنا بالمطلق باعتبار أنه ليس شخصا فهذا بحسب رأيهم إثبات أنه أقل من شخص.

لكن الحقيقة ليست كذلك.

إن الاختيار إنما يقع بين "الشخصية" وبين المطلق الذى هو أسمى منها.

إذ أليس من الممكن وجود نوع من الوجود يبلغ من سموه على العقل والإرادة والشخصية.. مبلغ سمو العقل والإرادة والشخصية على الحركة الميكانيكية؟).

ويعلق أميل بوتور على هذا فيقول:

---

(١) انظر قوله قبل سطور "أن له وجودا".

(٢) أنظر العلم والدين ص ٨٩.

(ألا يحق لنا القول بأن مذهب الفيلسوف اللا أدرى يفصح فى هذا الموضع عن اتجاه روحى صوفى..)[1].

ونقول: زائغ..

وبعد:..

وإذا كان المطلق عنده لا يمكن معرفته، وإذ يصعد به "إلى أعلى الدرجات" فإنه لا يسعنا أن نرى فى نظرته إليه هنا على أنه "المكان اللانهائى" الذى يرتاد الخيال "أجزاء منه" إلا ارتكاسا فى المادية.

وهنا نسجل عليه كما يقول أميل بوترو:

(الحق – كما يقول كثير من الفلاسفة المعاصرين – ليس ألما لا يعرف عند هربرت سبنسر مبدأ علميا)[2].

لأن العلم عند هربوت سبنسر إنما يقوم على الوقائع..

(فالوقائع هى الأصل الوحيد للمعرفة، ولا ينبغى أن نسمى الوقائع وقائع إلا ما ندركه أو ما يمكن أدراكه كأشياء خارجية توضع فى مقابل الشخص المدرك).

كما نسجل من ناحية أخرى أن هذا ألمالا يعرف لا يصلح أن يكون دينا على أى وجه من الوجوه. وكما يقول أميل بوترو (لن نستطيع مع مذهب سبنسر أن نضع الناس فى حضرة الموجود الذى يصدر عنه كل شئ لكى نقول لهم بعد ذلك: إنهم لن يتمكنوا من معرفة شئ عن هذا الوجود أو توقع شئ منه)[3].

وكما نقول نحن: يصبح الدين مسخا إذا خلا من الوحى..

**وفى الفلسفة الوضعية** التى قامت على استبعاد الدين والميتافيزيقا انتهى زعمها الفيلسوف أوجست كونت (١٧٨٩ – ١٨٧٥) إلى اختراع ما سماه "دين الإنسانية" وفيه تكون "الإنسانية" هى المعبود، وأبطالها هم موضع التعظيم والتكريم، بل

---

(١) العلم والدين ص ٨٨.

(٢) العلم والدين ص ٩٣.

(٣) العلم والدين ص ٩٧.

ذهب إلى أبعد من ذلك، حيث وضع لهذا الدين الجديد معبدا حقيقيا، تنصب فيه التماثيل ويصاغ فيه تمثال المعبود "الإنسانية" على هيئة أنثى، وتقام بجواره تماثيل نصفية لأبطال التاريخ.

إنه فى يوم الجمعة ١٠ أبريل ١٨٤٦... أى بعد وفاة معشوقته بخمسة أيام فقط... نجد كونت... يبدأ فى تاسيس نظم "دين الوضعية".

المعبد: شقتها الخاصة التى عاشت فيها..

قدس الأقداس: المقعد المكسو بالقطيفة الحمراء الذى جلست عليه عندما زارته لأول مرة وآخر مرة فى بيته. رفات "أم البشرية" خصلات من شعرها، مناديلها رسائلها، وشاحها قفازها، صورتها الخ...

إنجيل الوضعية: مجلد مكون من ٥٦٠ صفحة، ويحتوى على ألف رسالة حب كان قد كتبها لها خلال سنتين ابتداء من أول لقائه بها إلى وفاتها... وبعض رسائلها القليلة.

وها هى بعض طقوس "دين الوضعية" كما عرفها أو جست كونت فى مؤلفه "الوصية" صلاة الصبح: فيها "الكاهن أوجست كونت وأتباعه من تلاميذه أمام محراب كلوتيلد... أى المقعد المكسو بالقطيفة الحمراء.

وتستهل الصلاة بهذه الكلمات: "من الأفضل أن يحب الإنسان على أن يكون "محبوبا" أما آخر دعاء فيقال أمام الرفات: وداعا يا شريكة حياتى الدائمة.. وداعا يازوجتى وابنتى وداعا يا أم البشرية.

معابد أم البشرية:

والشئ العجيب أن ديانة الوضعية مازالت لها معابدها حتى اليوم فى فرنسا... أى فى عالم ١٩٧٧ بعد الميلاد.. ومازال يحج إليها الوثنيون من اتباع الوضعية المتطرفة.. وأشهر هذه المعابد فى شارع "بابين" فى باريس حيث الشقة التى عاشت فيها كلوتيلد.. وفى شارع "مسيولى برنس" حيث الشقة التى عاش فيها أو جست كونت، هذا غير عشرات المعابد الأخرى فى باريس..

والأعجب من هذا أن أكبر معبد لكلوتيلد "أم البشرية" مقام الآن فى ريودى جانيرو فى البرازيل.

وأعجب العجب أن علم البرازيل يحمل شعار ديانة الوضعية كما تصوره (كونت). أما عن الفيلسوف العاشق فرغم حبه.. ظل محتفظا بكامل قواه العقلية الفلسفية والعلمية.. فقد عاش بعد كلوتيلد أحد عشر عاما.. وكان يلقى فيها محاضراته فى الجامعة كما الف ثلاثة كتب أخرى عن الوضعية أهمها: "السياسة الوضعية"[1].

وإذا كان البعض قد يحلوله أن يدافع عن وضعية كونت باستبعاد هذا الدين بدعوى أنه – أى هذا الدين – إنما يعبر عن هلوسة عاشق..

فإننا نجد من المؤرخين من يجد لهذا الدين مكانه فى البناء المنطقى للمذهب الوضعى عند كونت، بالرغم من علاقة الحب تلك...

يقول أميل بوترو بعد أن يتساءل:

كيف تم إدماج هذا الدين فى المذهب الوضعى بأسره؟

يقول: (حصل ذلك على إثر هوى كومت لكلوتيلددى فو، هذه واقعة لا سبيل إلى الشك فيها، ولكنها لا تنطرى بالضرورة على الدلالة التى ينسبها إليها الكثيرون)*.

إن ضآلة المحبوب، بالإضافة إلى مزاج كومت العاطفى يجعلان من هذه الحادثة سببا عارضاً[2].

يقول أميل بوترو: (لا تتجه عبادة المذهب الوضعى إلى ذكرى ابطال الإنسانية فقط، بل موضوعاتها الأساسية:

الموجود الأعظم أو الإنسانية.

والمعبود الأعظم أو الأرض.

---

(١) انظر مجلة أكتوبر فى ١٣/ ١١/ ١٩٧٧م.

(٢) العلم والدين ص ٥٣.

والبيئة العظمى أو المكان.

هذه الأقانيم الثلاثة تكون ثالوث المذهب الوضعى).

وإذن فإن من حق النقاد أن يوجهوا سهامهم إلى هذه الديانة الوضعية. ويبدو التناقض صارخا بين الوضعية من حيث هى احتجاج على الألوهية والميتافيزيقية، والإنسانية من حيث هى كيان ميتافيزيقى غيبى...

يقول أميل بوترو:

(لئن اتخذنا الإنسانية مقياسا للأشياء فلن نغلق باب عصر المباحث الميتافيزيقية والدينية إلى الأبد، ولكنا نفتحه من جديد)[1].

ويقول وليم جيمس عن الديانة الوضعية: (لقد أصبحت قوانين الطبيعة المادية فى هذه الأيام أيام الفلسفة الوضعية موضوعات مستحقة للتمجيد الذى لا يكون إلا لله)[2].

ويقول عن جناح من أجنحة الوضعية المتشددة فى وضعيتها:

(لا يزال بعض رجال المذهب الوضعى ينادى اليوم قائلا: هنالك إله واحد مقدس، يقف فى جلاله وعظمته بين انقاض كل إله غيره وكل وثن(..) – وهو الحقيقة العلمية – وليس له إلا أمر واحد، وقول واحد: وهو أن ليس لكم أن تؤمنوا بإله لأن الأيمان بالإله ارضاء للميول الذاتية.

وهم فى ذلك مخدوعون، إنهم لم يفعلوا شيئا إلا أنهم قد اختاروا من بين ميولهم المتعددة، الميول التى تنتج أبخس النتائج وأحطها قدراً، بل وأكثرها إقحالا، وأعنى بذلك: مجرد عالم ذرى، وضحوا بكل ما عدا ذلك من الميول..

إنهم يقولون "دع العالم يفنى ليحيا العلم "كما قال أشباه لهم" دع العدل يتم ولو أفنى العالم" فهل تجدون وثنا صنع فى كهف أجل من هذا الوثن؟ وإذا أردنا أن نقول

---

(١) العلم والدين ص ٣.

(٢) العقل والدين ص ٨٩.

بتطهير العالم من الخرافات فلندع الوثن من الالتزام الصارم نحو العلم يذهب مع بقية الواجبات، وسيجد الناس فرصة طيبة لفهم بعضهم بعضا)[1].

٦- **وفى الفلسفة الماركسية** التى قامت على المادية الديالكتيكية (الجدلية) انتهى التفكير إلى اضفاء الألوهية على "المادة"، فهى تتصف بأنها "أصل الوجود" وأنها "باقية" لا تفنى، وانها "لانهائية"، وأن قانونها "الديالكتيك" يفرض نفسه على كل الأشياء. ثم ذهبت هذه الماركسية أيضا خطوة أعمق فى طريقها إلى جعل هذه الفلسفة "دينا"، حيث رأت ضرورة إدخالها فى عقول العمال وقلوبهم، باعتبارها فلسفة "الشغيلة" التى يعتمد عليها وعليهم فى تغيير المجتمع وتثويره، ومن أجل ذلك أدخل زعماؤهم فى إطار القداسة التى تضفى على الأنبياء، وكان لهم أصنام ومزارات يحج إليها الناس من أرجاء البلاد.

بل إن عبيد المادة هؤلاء عندما يجدون صعوبة فى التعبير عن إلههم يعتذرون بمثل ما يعتذر به المؤمنون به من ضيق وعاء اللغة البشرية عن استيعاب حقائق الألوهية.

وهذا ما يعبر عنه مقال ديمترى ب. جورسكى عن "التمثيل العلمى للحقيقة وصعوباته".

وهذا ما قاله لينين عن "الحركة" وصعوبة التعبير عنها: يقول: (نحن لا نستطيع أن نحقق الحركات أو أن نعبر عنها، أو أن نمثلها بدون أن نعطل التيار المتصل، وبدون أن نعمد إلى تقسيمها وقتل الحساسية فيها...)[2]. الخ. وهذا يؤكد ما نقوله عن حلول المادة محل الآلة فى الفكر المادى بما يكتنف هذا المحل من غيبية وتأب عن إحاطة الفكر البشرى.

والماديون الملحدون يتناقضون مع أنفسهم هنا عندما يرفضون هذه الصعوبة فى مجال اللاهوت ويتقبلونها فى مجال المادة.

وهنا يبدو لنا واضحا بطلان الماركسية فى ذهابها إلى أن جدلية المادة كافية فى تفسير حركتها وتطورها.

---

(١) العقل والدين ص ٨٩.

(٢) مجلة ديوجين العدد الثامن نوفمبر ١٩٦٨ ص ١٤٢.

أولا: إن هذا القول يقوم على الاعتقاد بقدم المادة والحركة معا، وأنه لا مادة بغير حركة ولا حركة بغير مادة. وقدم المادة يعنى قدم الحركة فى نفس الوقت.

ونحن نناقش فى قدم الحركة فنقول:

(أ) إن قدم الحركة لا يستقيم إلا بالقول بالحركة الكاملة. ولو كانت الحركة كاملة لما كان سكون.

لأن السكون نقص فى الحركة.

لكن السكون حاصل بالفعل.

لأن الحركة منها بطيئة، ومنها سريعة.

- هذا ثابت بالمشاهدة - والحركة البطيئة لا تكون كذلك إلا لما يتخللها من سكونات، وإذن فقد ثبت أن السكون حاصل بالفعل.

فبطل القول بالحركة الكاملة.

وثبتت الحركة الناقصة.

ونقصان الحركة يتنافى مع قدمها..

لأن الحركة الناقصة تعنى تخلل السكون لها كما قدمنا..

وإذا تخلل السكون الحركة لم يكن أيهما ذاتيا للمادة، لقبولها كلا منهما، فلم يكن أيهما أولى بالأسبقية من صاحبه، فاحتاج فى أسبقيته إلى مرجح فكان لابد أن يكون مسبوقا بالمرجح فلم يكن أحدهما قديما.

وإذن فقد ثبت أن الحركة التى للمادة لا تكون قديمة.

فثبت حدوث الحركة.

وإذا أثبتنا حدوث الحركة:

فإما أن نثبت حدوث المادة، على فرض تلازمهما كما هو مذهب المادية الجدلية وفى هذا نقض لها.

وإما أن نثبت أنها - أى الحركة - ليست ذاتية للمادة فاحتاجت المادة فى حركتها إلى محرك قديم.

وهو الله.

(ب) ولا يفيد الخصم فى هذا المقام الاعتماد على قانون بقاء الطاقة:

١ - لما ثبت من أنه قانون افتراضى يجرى حاليا ترقيعه بافتراضات أيضا كلما ظهر ما ينقضه من كشوف الذرة.

٢ - لأنه يتضمن التسليم بانتقال الحركة وتوزعها، وتخلل السكون لها، وهنا يأتى ما ذكرناه.

(جـ) وقد يفيدنا نحن الإشارة إلى نسبية الحركة كما ثبتت أخيراً فى النظرية النسبية. يذكر العلماء أن نيوتن كان قد (أقام برهانا يثبت به أن الحركة حول محور لابد أن تكون مطلقة وليست نسبية، وأنه على الرغم من أن خصوم هذا الرأى لم يستطيعوا أن يجدوا عليه ردا إلا أنه كان لديهم البرهان على صحة الرأى المضاد. أى على أن كل حركة لابد أن تكون نسبية، وكان برهانهم يبدو على أقل تقدير مساويا للرأى الأول فى درجة الإقناع.

وظل هذا التضارب قائما بغير حل حتى أثبت اينشتين نسبية الحركة فى نظريته عن النسبية[1].

**ثانيا:** ويقدم العلم الحديث الدليل على أن جدلية المادة لا تكفى فى تفسير حركتها التطورية وذلك باكتشاف ما يسمى "الطاقة الضامة".

ويقول العلماء عن هذه الطاقة:

إنه لما كانت النيترونات عديمة الشحنة فإنه يجب ألا تجذب البروتونات أو النيوترونات الأخرى، ولكنها تجذبها فعلا؟

ولما كانت الشحنات التى من نوع واحد تتنافر، فإن البروتونات الموجبة يجب أن يبتعد بعضها عن بعض، ولكنها لا تفعل ذلك، وبدلا من هذا يحدث العكس إذ يحتاج الأمر إلى كمية هائلة من الذخيرة لفصل الحبيبات من النواة بعضها عن بعض أكثر مما يلزم لفصل الإلكترونات عن البروتونات.

---

(١) فلسفتى لبرتر اندرسل ص ٤٥.

وتسمى القوة الشديدة التى تحفظ أجزاء النواة بعضها ببعض بالطاقة الضامة.

وهذا الاسم يبين ما تفعله هذه الطاقة ولكنه لا يوضح طريقة عملها[1].

وهذا فى رأيى له دلالة هامة، إذ يعنى أن جدلية الجزيئات (سالبة وموجبة) لا يكفى لتفسير تركيبها أو العلاقة بينها أو تطورها، إذ احتاج الأمر إلى هذه الطاقة الضامة.

وهذا فى حد ذاته يكفى لنقض المادية الجدلية عند ماركس.

**ثالثا:**

أما قدم المادة وهو من أسس المادية الجدلية، فسوف نتعرض له بإبطاله فى مقام لا يختص فيه الكلام بالمادية الجدلية، لأنه من ركائز المذاهب المادية عموما.

وذلك فى الفصل الخاص بمزاعم العلم، عند الكلام عن "أن حتمية القوانين الطبيعية لا تلغى الإرادة الالهية" وإثبات الحاجة إلى العلة الأولى، أو الإرادة القديمة، وعند الكلام عن "احتياج العالم إلى الله طبقا لقوانين الفيزياء الحديثة".

**رابعا:**

إنه فى البناء الماركسى يقوم الجانب العلمى على الجانب الاعتقادى، لا كما يدعى أصحاب شعار "الاشتراكية العلمية".

ففى مقال نشرته البرافدا فى عام ١٩٤٩ يقول رئيس أكاديمية العلوم فى الاتحاد السوفيتى س ١٠، فاينلوف تحت عنوان "لينين والمسائل الفلسفية التى بالفيزياء الحديثة".

"إن الفيزياء السوفيتية تبنى عملها على ما اعتنق العالم من المادية الديالكتيكية (وليس العكس...) تلك التى رفع أمرها تآليف لينين وستالين.. ولكنا لا يمكن أن نغفل حقيقة واقعة. تلك أن بعضا من فيزيائيينا مازال عندهم بقايا من آراء من المذهب التصورى.

---

(١) العالم من حولنا ص ٥٩، ٦٠ وانظر بواتق وانابيق ص ١٦٥ انظر "الفيزياء والمكروفيزياء "للويس دى برولى ص ٥٨، ٥٩.

إن من أخطر الواجبات علينا أن نحارب هذه البقايا من ذلك المذهب المنقرض بالنقد الذى لا يرحم..)[1].

وفى مقال نشرته المجلة الأسبوعية الانجليزية ناتشر فى مايو ١٩٥٠ جاءت هذه الكلمة الآتية لعضو من معهد علم الوراثة التابع لاكاديمية العلوم بموسكو إذ يقول: (إننا أعلنا مرارا ولا نزال نعلن أن العلم - وإذا فالعلم السوفيتى - إنما هو علم حزبى طبقى. إن الطبقات المتوسطة ومن يصوغون لها مذاهبها - سواء كانوا بيولوجيين أو غير بيولوجيين - كانوا دائما فى خوف أن يقروا صفة العلم الحزبية)[2].

ويقول الدكتور جيمس كونانت معلقا على ذلك.

(إن معتنقى المادية الجدلية فى كل الأرض يضعون العلوم الفيزيائية من التقدير فى الموضع العالى، ويتحدثون فى زلاقة وفى ثقة عن المنهج العلمى..

ولكن عندما يوجد نص خاص من نصوص هذا المذهب الفلسفى فيحول إلى مبدأ رسمى من مبادئ الحزب لا يؤذن لذى رأى مخالف أن يقوم إلى جنبه، وعندئذ لا يمكن أن يكون للعلم استقلال)[3].

فهل نجد أدنى فرق بين موقف الماركسية هذا وبين موقف الكنيسة فى العصور الوسطى من العلم كما يصوره الأستاذ إسماعيل مظهر فى قوله:

(قامت لدى اللاهوتيين فكرة ثابتة فى أن العلم لا يصح أن يبشر فيه بأقل مخالفة ما جاءت به الأسفار والمتون ورسائل الحواريين..

وزاد الطين بلة أن اللاهوتيين ومن ورائهم الكنيسة وعلى رأسها البابوات المعصومون من الخطأ كانت قد زكت المذاهب اللاهوتية التى ذاعت فى تفسير الإنجيل والتوارة بإجازتها حينا بعد حين، فأصبحت تلك التفاسير فى الواقع مقدسة كأصل المتون نفسه)[4].

---

(١) مواقف حاسمة فى تاريخ العلم ص ٢٨٩، ٤٩٠.

(٢) مواقف حاسمة فى تاريخ العلم لجيمس ب كرنانت ترجمة أحمد زكى ص ٤٩٠.

(٣) المصدر السابق ص ٤٨٩.

(٤) الأستاذ إسماعيل مظهر فى مقدمة ترجمة لكتاب بين الدين والعلم لا ندرو ديكسوف وايت ص ١٩، ٢٠.

(٧) **أما ارنست هيكل** (١٨٨٤ – ١٩١٩) فى محاربته للدين فهو يدعو إلى وضع فلسفة علمية أو تأويل عقلى لنتائج العلم – تعالج فيها المسائل التى تركت من قبل للدين والميتافيزيقا.

وعنده أن الفلسفة المستخلصة من العلم تتلخص فى كلمتين: الواحدية والتطورية، فمن جهة الموجود واحد، وجميع الموجودات ذات طبيعة واحدة، وليس الخلاف بينها إلا فى الدرجة، أى كميا.

ومن جهة أخرى هذا الموجود ليس لا متحركا، بل فيه مبدأ التغير، وهذا التغير يعد فى ذاته ميكانيكيا بحتا خاضعا لقوانين ثابتة.

ولكنى يتخلص أرنست هيكل من النقد الموجه إلى المادية التى تفترض فيها المادة – فى أصلها – شيئا عديم الحركة ليست له هيئة معينة، إذ يقال فى هذا النقد كيف أمكن أن يخرج من هذا العدم إمكانيات مثل القوة والحركة والأحساس؟..

ولكى يتخلص من النقد الموجه إلى التطورية ككلمة سحرية بمقتضاها تتسلسل الكائنات بالطبع بعضها من بعض، بفعل الميكانيكية المنتظمة البسيط، إذ يقال فى هذا النقد: ما أصل التطور نفسه وما غايته، وهل يمكن تصوره بغير أن ننسبه لفعل فائق على الطبيعة؟

لكى يتخلص هيكل من هذا كله قال:

(نحن نرى أن المادة لا يمكن أن توجد وتعمل بغير العقل).

حسن، لقد اضطر هيكل إلى الرجوع – مؤقتا – إلى قاعدة التالية التي يقول بها الدين...

وهو يقول أيضا "المادة التى فرضناها لا تتنافى مع الله...".

لكنه ما لبث أن زاع، إذ يقول:

(بل هى – أى المادة – الله نفسه، اله داخل الطبيعة متطابق معها)[1].

---

(١) المصدر السابق ص ١١٠

وهنا يصبح لهيكل دين خاص به، وإله يدعى أنه استنبطه بالعلم، وأنه يرفضه إذا جاء من الوحى، يقول:

الأديان تقوم على الوحى، والعلم لا يعرف إلا التجربة، ولا يمكن لصاحب عقل مستنير أن ينتمى لكليهما فى أن واحد، بل يضطر إلى الاختيار، واليوم لا يملك الشخص الغريب عن الثقافة الحديثة – يقصد الفلسفة العلمية – من العقل إلا مقدار ما كان يملكه أقاربنا من الثدييات كالقردة أو الكلاب أو الفيلة)[1].

والخلاصة أن هذا المتعالى على الدين، والداعى إلى ما يسميه الفلسفية العلمية أو الواحدية، ليست الواحدية عنده – فى حقيقتها – إلا نوعا من وحدة الوجود على أساس مادى.

ومع ذلك يقول أميل بوترو:

(نحن إذا مضينا مع النتائج العلمية لهذه الفلسفة افضت بنا إلى العبادة الثلاثية للحق والخير والجمال، وهو ثالوث واقعى يحل مكان الثالوث الوهمى للمسيحية..)[2].

وهكذا يستبدل هيكل دينابدين[3].

وهو يعتقد أن الدين لم يبتدع لزهو رجال الدين، بل لأنه يهدف إلى إشباع حاجات جوهرية عند الإنسان، ومن ثم فهو يبحث لثالوثه عن معبد، وإذا كان يرى – مؤقتا – أن الكون بأسره هو معبد هذا الثالوث، فهو لا يستبعد أن يحدث فى القريب (أن ينتقل عدد كبير من كنائس المسيحيين، إلى جماعات الواحديين[4]).

وهنا نسجل أن هذه الفلسفة العلمية التى يدعو إليها هيكل على أنها "سلب للأديان، وبديل عنها" تتنكر للمفهوم العلمى، بل تتنكر للفلسفة العلمية ذاتها، التى من المفروض أن (تقوم خارج أى ميتافيزيقا).

---

(١) المصدر السابق ١١١.

(٢) المصدر السابق ١١٣.

(٣) أنظر مبحثنا عن حقيقة الخلاف حول الذات الأهية فى خاتمة بحثنا هذا.

(٤) العلم والدين ص ١١٥.

كما نسجل أن هذه الفلسفة تحول الصيغ التى يقرها العلم إلى عقائد مفروضة علينا إلى الأبد، فهو – أى هيكل – يريد أن يكون لهذه القضايا المنتزعة من العلم يقين أكثر من اليقين العلمى[1].

إنه اليقين الميتافيزيقى الخالص[2].

إنه ينسب لمادته الواحدة مالا يملك العلم أن ينسبه إليها:

الأزلية، والشمولية.

وهو ينسب لقانونه عن التطور مالا يملك العلم أن ينسبه إليه ايضا: الميكانيكية البحتة، والتقدم الدائم.

يقول أميل بوترو: من المستحيل إذن اعتبار فلسفته مجرد امتداد للعلم.

ولقد كان هيكل واهما عندما اعتقد أنه بواحديته هذه يهدم الأديان لثنائيتها، ذلك أن الأديان تقوم أيضا على مذهب الوحدة، وهو لم يفعل إلا أن اقترح دينا زائفا يقوم على مذهب ميتافيزيقى – لا علمى – فى وحدة الوجود، إن هيكل هذا (يختتم تعاليمه فى الواحداية بالابتهال إلى "الله" المبدأ المشترك للخير والجمال والحق. ويقول: إن الحق والجمال والخير هو الآلهة الثلاثة السامية التى نركع أمامها فى إخلاص. ولتمجيد هذا المثل الأعلى "الله الواحد والثلاثة حقا"(!) سيرفع القرن العشرون الهياكل).

وتندق رقبة هيكل مرة ثانية فى قاع الوهم، إذ ينصب لنا هذه القيم الثلاثة – الحق والخير والجمال – آلهة تعبد، دون أن يكون لها أى مبرر من العلم: العلم بعجزه المقرر عن إرساء القيم[3].

والخلاصة: أن هيكل أقام من العلم فلسفة ليطرد الأديان، ثم اقام من فلسفته دينا لكى تحل محلها[4] لكن هل يمكن أن تفوز بشئ من النجاح؟

---

(١) ولا يقين علمى هناك "أنظر مبحثنا عن لا حتمية القوانين.

(٢) أنظر العلم والدين ص ١٢٠.

(٣) المصدر السابق ١٢١، ١٢٣، ١٢٥ ١٢٧.

(٤) العقل والدين ص ٩٩.

يقول وليم جيمس: (إذا ما تمكن "الدين العلمى" المحض، من خنق كل الرغبات الأخرى وإزالتها من نفوس جماعة من الجماعات، وتمكن من إقناع افرادها بأن القوانين المنطقية تقتضى تطهير الذهن من كل فكرة لا تمت إلى التركيب العلمى بصلة – إذا ما تمكن العلم من ذلك فإن تلك الجماعة ستسقط حتما إلى الرغام، وتصبح طعمه لجيرانها الذين هم أكثر منها ثروة عقلية، كما غدت فصيلة الحيوانات طعمة للإنسان)[1].

**تعقيب على أوثان العلم..**

**وأخيرا:**

يقول هربرت سبنسر فى ترجمته الذاتية: (إن الدائرة التى تشغلها الاعتقادات الدينية من النفس لا تبقى خالية أبدا بل تشغلها المسائل الكبرى المتصلة بأنفسنا وبالعلم).

ومن هنا نقول:

إنه ليس بلازم أن تجرى المناقشة بين الإلحاد والدين، على أساس سوق الأدلة على وجود الله.

وإنما تجرى، أو يصح أن تجرى على أساس إجراء المقارنة بين المعبود هنا والمعبود هناك، والمعتقدات هنا، والمعتقدات هناك.

وصد الله العظيم، القائل:

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ (سورة الزمر أية ٦٧).

**مقارنة المعبود: بين الإلحاد المادى، والإيمان بالله....**

فى اعتقادنا أن الفريقين متفقان على أصل معبود، مختلفان على الصفات التى يوصف بها (الأصل المعبود).

الفريقان متفقان على أن:

---

(١) العلم والدين ص ٩٠.

ظواهر العالم متغيرة.

وكل متغير له اصل تغير عنه.

وظواهر العالم لها أصل تتغير عنه.

هذا محل إجماع.

والكلام فى هذا الأصل.

هل وجوده لغيره أو لذاته؟

الإجماع منعقد على أن وجوده لذاته..

هل له نهاية ينتهى إليها، أو هى لا نهاية؟

الاجماع منعقد على أنه يتصف باللانهائية واللامحدودية، بالابدية، والأزلية والخلود...

والإجماع منعقد – أو يكاد أيضا على كونه:

محدثا للحياة

محدثا للعقل[1].

والإجماع منعقد على كونه ذا سلطان حتمى تخضع له حركة الأشياء.

والإجماع منعقد على كونه محدثا للتطور والتقدم فى حركة الأشياء.

والإجماع منعقد على كونه ساعيا بحركة الأشياء نحوق غاية أو غايات عليا.

أولا: لكن السؤال الذى يظهر عنده افتراق المذاهب ما بين مادى ملحد ومؤله مؤمن هو: هل هذا الأصل من جنس المادى الذى نعرفه أو ليس من جنسه؟

يقول الماديون: إنه المادة فهو من جنس هذا العالم المادى...

ويقول الإلهيون: إنه ليس من جنس هذا العالم مطلقا...

وهنا ينبغى أن تجرى المقارنة بين الاعتقادين.

---

(١) يقول الدكتور توفيق الطويل (يذهب أتباع الواقعية المادية إلى أن سبق المادة على العقل إنما يكون فى الوجود وفى المرتبة معا. بمعنى أن المادة هى التى تملك وجودا مستقلا أما العقل أو الذات المدركة فليست إلا مجرد مظهر من مظاهر المادة).

إنه على قول الماديين يحصل التناقض...

وينشأ التناقض من وصفهم إياه بما يناقض كونه أصلا..

وبما يناقض الصفات التى اقتضاها كونه أصلا...

١- ذلك لأن القول بأنه من جنس هذا العالم المادى الذى نعرفه يقتضى كونه جزءاً منه والقول بأنه أصل للعالم يقتضى كونه غيره، وهذا تناقض...

٢- ولأن القول بأنه من جنس هذا العالم المادى الذى نعرفه يقتضى كونه ذا أول لأن ما هو من هذا العالم له أول وقد قالوا بأبديته.

٣- ولأن القول بأنه من جنس هذا العالم المادى الذى نعرفه يقتضى كونه فانيا لأن ما هو من هذا العالم يفنى، وقد قالوا بخلوده.

لا يقال إننا نريد بالأصل الذى هو من جنس هذا العالم (المادة) من حيث هى مادة، والمادة من حيث هى مادة هى عندنا واجبة الوجود لا نهائية، أبدية أزلية خالدة، فلم نقع فى التناقض.

لأنا نقول: ما تقولونه عن المادة المتصفة بما تقدم يخرجها عن كونها من جنس هذا العالم المادى الذى نعرفه، لأن ما نعرفه من هذا العالم المادى، إنما هو أفراد، فنعرفه ممكن الوجود، منتهيا، له أول، له نهاية، فان.

فكيف السبيل إلى معرفةالمادة المطلقة التى وصفتم؟

وما هو الوجه الذى عرفتم منها وهو من العالم المادى الذى عرفناه؟ فإن لم يكن هذا الوجه فأنتم تقولون بشئ ليس من جنس هذا العالم وإن دل عليه هذا العالم، وتسميتكم إياه مادة لا يدل على شئ.

ثانيا:

والسؤال الثانى الذى تفترق عنده المذاهب هو: هل هذا الأصل من جنس هذا العالم فى حالته الراهنة بعد أن حدثت الحياة، والعقل؟

أم قبل أن تحدث الحياة والعقل؟

يقول الماديون: أنه من جنس هذا العالم قبل أن تحدث الحياة والعقل لأنه هو محدث الحياة والعقل، أو لأن الحياة والعقل ظواهر حدثت من بعد.

وهذا تناقض أيضا:

لأنه يعنى أنه يعطى الحياة من يفتقد الحياة[1].

ويعطى العقل من يفتقد العقل.

إنه يعنى أن يعطى المفضول (من لا يملك، الحياة والعقل) للفاضل: ما به الفضل (الحياة والعقل).

يقول شلنج فى كتابه ماهية الحرية البشرية ١٨٠٩م:

(إن الله ليس موجودا قط بل هو فى طور الصيرورة).

ويقول أوكن تلميذه فى شرحه لهذه النقطة.. (إن الله هو بالقوة فحسب إنه عبارة عن الصفر أو العدم)[2]؟؟؟

وقد رد عليهما ف. هـ. ياكوبى فيما كتبه عام ١٨١٢ فى مقالة فى الأشياء وتجليها سجل فيها:

(أن فى المسألة التى طرحها شلنج – وتلميذه – أبعد تناقض فى فلسفة الدين بأسرها، إذ أنه لا يصدر شئ عن لا شئ، أو يولد الأعلى من الأدنى، إن الفلسفة من طراز فلسفة شلنج هى نقض صريح لقوانين المنطق).

(أ) وإذا كان شلنج يرد على ياكوبى بالاحتكام إلى مشاهداتنا اليومية التى نجد فيها ظهور الأعلى من الأدنى....

(فالولد ينمو حتى يصبح رجلا، والجاهل حتى يصبح عالما)[3].

فهو قد وقع بذلك بلا شك فى سذاجة تصورية ما أغرب صدورها عن عقل فليسوف يتصدى لهذه التحديات، إذ ليس من العسير أن تعرف أن ظهور الأعلى فى

---

(١) انظر مبحثنا فيما قرره العلم التجريبى الحديث من أن للعالم بداية ونهاية.

(٢) سلسلة الوجود الكبرى ص ٤٦٧ – ٤٦٩.

(٣) المصدر السابق ص ٤٧٠.

هذه الأمثلة ليس باستمداد من الأدنى، وإنما الأدنى أعطى شيئا مساويا أو أقل، وما صار به الأعلى أعلى إنما هو بانضمام عناصر أخرى ليست فى الأدنى، وقد احتاج هذا الانضمام إلى وجودات سابقة، وإلى تنسيق، وعناية ليس عند الأدنى منها شئ، فما أحرى هذا المثل بأن يدل على صدق القول بأنه (لا يصدر شئ عن لا شئ) وأنه (لا يلد الأدنى الأعلى) وما أحراه بأن يدل على وجود الله سبحانه وتعالى الذى تستمد منه هذه الوجودات كلها، وهذا التنسيق كله، وهذه الرعاية كلها.

(ب) وإذا كان شلنج يرد بتعميم أكبر بقوله (إن الطبيعة نفسها كما يعلم كل من له إلمام كاف بالموضوع قد ارتفعت تدريجيا من توليد المخلوقات الأضعف.. إلى تولدي الأكمل والأدق تكوينا منها)[1].

فإنه ما كان له أن يسخر وهو فى موضع السخرية، إذ يرتكب مصادرة على المطلوب، ذلك لأن ما يصفه من فعل الطبيعة – دون أن يفسره، هو القضية نفسها المحتوية على الاستحالة المنطقية (وجود شئ من لا شئ) وهى الاستحالة التى قدمها الفيلسوف تحت وشاح رقيق لا يمكن أن يخفيها، وهذه الاستحالة – فى تناقضها الداخلى من ناحية – وتناقضها مع الواقع من ناحية – لا تحل إلا باستنتاج ضرورى: هو استنتاج وجود الله المتصف بوجود الوجود، وما يقتضيه ذلك من صفات الكمال، ومنها العلم والقدرة والإرادة.

(جـ) وإذ يحس شلنج بصدق الاتهام الموجه إليه بارتكاب تناقض منطقى نجده يتراجع إلى حائط ورقى يستند إليه، وذلك إذ يلجأ إلى الاتهام التقليدى الموجه إلى مبدأ الذاتية، المنطقى[2].

من أنه مبدأ تحليلى، أو تحصيل حاصل[3] وهو هنا يجهل أو يتجاهل، وينسى أو يتناسى أن القول بأن هذا المبدأ (تحليلى) لا يعنى عدم صحته، أو إنكاره، فهو

---

(١) المصدر السابق ص ٤٧٠.

(٢) هو أحد مبدأين يقوم عليهما المنطق: مبدأ عدم التناقض، ومبدأ الذاتية الذى يعنى: "إن الشئ هو هو وليس هو غيره.

(٣) سلسلة الوجود الكبرى ص ٤٧٤.

صحيح طالما كنا نستعمل عقولنا، ولكنه يعنى عدم كفايته لتقدم العلم التجريبى، وهذا شئ أخر، لا نصدق أن الفيلسوف يجهله.

فكيف يقع الفيلسوف فى مثل ما ارتكبه هذا من مغالطة تارة ومصادرة على المطلوب تارة، وتناقض تارة أخرى؟

إنها إرادة الإلحاد لا غير..

**ثالثا:**

والماديون لا يقعون بهذا فى التناقض فيما يصفون به هذا الأصل فحسب، ولكنهم يقعون فى التقصير.

فهم يكتفون بوصف أصلهم بالأوصاف الآتية:

كونه علة لذاته، لا نهائيا، أبديا، أزليا، خالدا، ذا قانون حتمى للحركة، محدثا للحركة، محدثا للحياة، محدثا للعقل، محدثا للتقدم...

ولا يصفونه ببقية الصفات التى يقتضيها ما تقدم...

فهم لا يصفونه بكونه مريدا وذلك يقتضيه كونه نظام وغاية تؤدى إلى التقدم.

وهم لا يصفونه بكونه خالقا وذلك يقتضيه كونه محدثا للحياة، أو للعقل...

وهم لا يصفونه بكونه عالما، وذلك يقتضيه كونه، مريدا خالقا، محدثا للعقل.

وهم لا يصفونه بكونه قديرا، وذلك يقتضيه كونه خالق، عالما مريدا، محدثا للحياة والعقل..

وهم لا يصفونه بكونه مدبراً وذلك يقتضيه كونه محدثا للتطور والتقدم فى الأشياء.

وهم لا يصفونه بكونه حيا، وذلك يقتضيه صحة وصفة بما تقدم[1].

والنتيجة أن المادية يقولون بأصل للعالم يتصف بالوجوب والقدم والخلود والسلطان، وإحداث الحياة والعقل، والتقدم.

---

(١) ليس هذا نوع من التشبيه كما يدعى الملاحدة.

وهذا محل اتفاق...

ولكنهم يقعون فى تصورهم لهذا الأصل فى التناقض والقصور.

وهنا موضع المفاضلة بين الماديين والألهيين.

فالإلهيون الذين يقولون بأصل للعالم يتصف بالوجوب، والقدم والسلطان وإحداث الحياة، والعقل، والتقدم..

يصفونه بكونه، مريدا عالما، خالقا، مدبرا، حيا قديرا، سميعا، بصيراً...

والخلاصة أنه لا مجال لطرح موضوع الخلاف حول المعبود على أنه بين من يثبت للعالم أصلا معبودا يرجع إليه يتصف بوجوب الوجود، والخلود، والأبدية والأزلية واللانهائية، محدثا للحركة، والحياة، والعقل، والتطور، والتقدم... ومن ينكر ذلك.

ولكنه بين من يعتقد أن معبوده "الله" ويصفه بصفاته الواجبة له..

ويراه من غير جنس هذا العالم متعاليا عليه.

ومن يعتقد أنه (مادة) يراه من جنس هذا العالم المادى فى أحط درجات وجوده..

وهو بين من يصف معبوده بأوصاف يقتضيها كونه أصلا ومن يصفه بأوصاف:

(أ) متناقضة مع كونه أصلا، من ناحية.

(ب) متناقضة مع الأوصاف التى يقتضيها كونه أصلا من ناحية ثانية..

(جـ) ويمنع عنه أوصافا يقتضيها كونه أصلا من ناحية ثالثة..

فالخلاف فى حقيقته يرجع على "صفات" هذا "الأصل" المعبود "لا إلى "وجوده".

ومن هنا فالماديون ليسوا فى جوهرهم منكرين لوجود أصل معبود. ولكنهم مشركون يصنعون آلهة من عندهم، وينحطون بأصل الوجود وبمعبودهم إلى أحط الدرجات.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [1].

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [2] صدق الله العظيم.

---

(١) سورة النساء ٤٨.

(٢) سورة الصافات ١٨٠.

يقول ابن تيمية:

(لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع وإنما ورد بمعرف التوحيد ونفى الشرك).

ويقول ابن القيم فى كتابه مدارج الساكين (إن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر السليمة من وجود النهار، ومن لم ير ذلك فى عقله وفطرته فليتهمها).

ويقول الأستاذ محمد فريد وجدى فى كتابه الإسلام فى عصر العلم فى تعليقه على أدلة أفلاطون وارسطو على وجود الله..

(أما أفلاطون فبرهانه يحتاج إلى شئ من العلم والحكمة، فهو بعيد عن البرهان الفطرى على قدر بعده عن متناول العقل العادى، وهما كما لا يخفى عيب فى الدليل لا يغيب على بصير..

إذ لا يخفى أن الخالق جل وعز أكبر من كل كبير وأظهر من كل ظاهر فكيف يليق أن يكون البرهان على وجوده من الخفاء بحيث يدق على كثير من الأفهام..).

وما قدمناه عن معبودات الملحدين الماديين، يدل فى وضوح على أن الإيمان بالله فطرة فى النفس البشرية، وأن هذه الفطرة إن لم تجد تعبيرا لها فى الدين الذى يأتى به الوحى من الله أدخلت فى مسخ من المذاهب الألحادية، ووقعت فى أسر العبودية لغير من يستحقها[1].

وفى طريق الفطرة يقول ابن تيمية:

(إن فطرة الخلق مجبولة على أنهم متى شاهدوا شيئا من الحوادث المستجدة

---

(١) يقول وليم جيمس بعد أن بين أن الإنسان هو بغريزته وفطرته معتقد متيقن "أن أعاظم رجال المذهب التجريبى منا ليسو تجريبين إلا من ناحية نظرية فحسب فإذا ما تركوا لغرائزهم وطبائعهم فإنهم يعتقدون ويتيقنون كما يفعل البابا نفسه". ويقول "ولكن إذا كنا بالغريزة من رجال المذهب المطلق فما الذى يجب أن نفعله ونحن فلاسفة ازاء هذه الحقيقة؟ هل نقبلها وندافع عنها؟ أم ينبغى أن نعتبرها حالة ضعف فى طبيعتنا يجب أن نعالج أنفسنا منها بقدر الإمكان". إن الضرورة العملية هى الشئ الوحيد الذى يقف بجوار الفطرة فى هذا المقام، وهى التى ترجح لدينا قبولها وتبعد عنا اعتبارها حالة من حالات الضعف. أنظر العقل والدين ص ١٦.

كالبرق والرعد والزلازل ذكروا الله وسبحوه، لأنهم يعلمون أن ذلك المتجدد لم يتجدد بنفسه بل له محدث أحدثه.

وهم يعلمون هذا فى سائر المحدثات وإن كان ما اعتادوا حدوثه صار مألوفا لهم بخلاف المتجدد الغريب.

وخلق الإنسان من أعظم الآيات، فكل واحد يعلم أنه هو لم يحدث نفسه، ولا أبواه، ولا أحد من البشر أحدثه.

ويعلم أنه لابد له من محدث، فكل يعلم أن له خالقا خلقه، ويعلم أنه موجود حى عليم قدير سميع بصير، ومن جعل غيره حيا كان أولى أن يكون حيا، ومن جعل غيره عليما كان أولى أن يكون عليما، ومن جعل غيره قادرا كان أولى أن يكون قادرا.

كما قال تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[1].

ثم يقول: (فما عدت هذه المسألة من النظريات التى يقام عليها برهان، فإن الفطرة الإنسانية تشهد بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها بصنع قادر عليم حكيم وهذا قوله تعالى: ﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾.. وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ الزخرف ٩.

وإن هم غفلوا عن هذه الفطرة فى السراء فلا شك أنهم يلوذون إليها فى حال الضراء..

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ لقمان ٣٢.

ويقول تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ الإسراء ٦٧. صدق الله العظيم.

---

(١) سورة الذاريات أية ٢١.

### ٥ - الوعد بـ "المستقبل"

تشترك اتجاهات الإلحاد العلمى على اختلافها فى الاعتقاد بالحياة المؤجلة التى يستكمل فيها ما نقص من هذه الحياة الحاضرة.

وهذه السمة الخامسة من سمات الدين التى أشرنا إليها فى مستهل هذا الفصل.

وليست نظرة الإلحاد العلمى إلى المستقبل مجرد نوع من التوقع لما يأتى فى الغد، وإنما عقيدة لازمة من أجل تبرير ما يستمسك به من نظرة إلى الماضى، وإلى الحاضر، وبدون هذه النظرة المستقبلية الاعتقادية ينهار البناء الكلى للاتجاه الإلحادى.

يقول وليم جيمس (إن ثورة العلم ضد الكرامات وخوارق العادات، وثورة بعض الفلاسفة ضد حرية الإرادة لم تنبت كلها إلا من أصل واحد: هو كراهية الاعتراف بوجود عنصر يمكن أن يشككنا فيما عرفناه عن المستقبل)[1].

فهؤلاء يستتيمون فى غيبوبة لذيذة على عقيدة غيبية عن المستقبل تزعجهم عنها الكرامات:

أولا – ففى مجال العلم البحت – مثلا – لابد من هذه النظرة عند سماسرة الإلحاد لتصح دعواه فى كفاية العلم التجريبى لتفسير الوجود، وتفسير المستقبل، وإزاحة الميتافيزيقا والدين عن هذا الطريق.

ويرى كارل بيرسن أنه (من الخطأ الاعتقاد بأن جهل العلم حاليا يعنى أنه يسظل إلى الأبد جاهلا فى المستقبل. فليس لنا أن نقطع بأن هناك ميادين ستظل مستعصية على العلم إلى الأبد، وبأن هناك أنواعا أخرى من المعارف غير العلمية هى التى تهدينا فى هذه الميادين، ذلك لأن قدرات العلم لا حدود لها..)[2].

ومع ذلك فإن بيرسن يقر بعجز العلم عن إدراك العالم الخارجى وهذا هو التناقض بعينه.

---

(١) الدين والعقل ص ٥٠.

(٢) تراث الإنسانية ص ٩١٩ العدد ١٢ لمجلد ٣.

إن العالم الخارجى فى نظره فكرة مزعومة لأن أقصى ما نقترب به من ذلك العالم المسمى بالخارجى هو أطراف أعصابنا الحسية، وموقف العالم فى هذا يشبه موقف عامل التليفون الذى لا يتصل بالمتحدثين إلا من خلال الطرف المجاور له من أسلاك التليفون.

بل إننا فى موقف أسوأ من موقف صاحبنا هذا إذ أننا لم نخرج من مركز التليفون ولم نشاهدا أبدا واحدا من أولئك المتحدثين الذين تصلنا أصواتهم من خلال الأسلاك، فالعالم الخارجى بالنسبة إلينا كما هو بالنسبة إلى هذا العامل هو مجموع الرسائل أو المكالمات التى تنقلها الأسلاك أو الأعصاب.. إلينا حيث نكون، إننا لا نعرف شيئا على الإطلاق عن طبيعة "الأشياء فى ذاتها".

إن ما يسميه الميتافيزيقيون بالأشياء فى ذاتها.. لا نعرف نحن عنه إلا صفة واحدة هى "القدرة على تكوين انطباعات حسية وبعثه رسائل تمر بأعصاب الحس حتى المخ، فهذا هو القول العلمى الذى يمكن الإدلاء به بشأن ما يوجد وراء الانطباعات الحسية"[1].

وهنا يبدو كارل بيرسن فى قمة اليأس من معرفة العالم الخارجى ومن معرفة الشئ فى ذاته بالرغم من اعترافه بوجوده.

يقول (وعالم الانطباعات الحسية هذا مغلق علينا تماما ولا أمل لنا فى أن نبعد عنه خطوة واحدة)[2].

فأين هذا من إيمانه بقدرات العلم الذى لا حدود له؟

وفيم كان إذن طرد جميع وسائل المعرفة الأخرى وإنكارها؟؟

٢- ويقول برتراند رسل بناء على مبدأ عدم التحديد...

"إن اكتشافات العلم الحديث تبين لنا أن الذرة غير خاضعة للقوانين الطبيعية القديمة، فهل يعنى هذا أن الذرة غير خاضعة للقوانين على الإطلاق؟"[3].

---

(١) تراث الإنسانية ص ٩٢١ العدد ١٢ المجلد ٣.

(٢) تراث الإنسانية ص ٩٢١ العدد ١٢ المجلد ٣.

(٣) مجموعة عالمنا المجنون لنظمى لوقا ص ٥٦، ٥٨.

وبدلا من أن يفترض رسل أن الذرة تدخل تحت قوانين غير قوانين الطبيعة التى عجز العلم عن كشفها فيفتح الباب للميتافيزيقا والدين، يفترض عن طريق الإيمان الغيبى (ايضا):

(أن نظرية الذرة الفردية الحرة تقع تحت رحمة علم الطبيعة التجريبى الذى ربما استطاع فى أى لحظة أن يكشف القوانين التى تنظم سلوك الذرات الفردية.

ويقول رسل (إننا لا نجد مبررا كى نظن أن سلوك الذرات غير خاضع لقانون.

إن الطرق التجريبية لم تستطع إلا فى أزمنة قريبة أن تلقى أى ضوء على سلوك الذرات الفردية، فلا عجب فى أن قوانين هذا السلوك لم تكتشف كلها، ومن المستحيل الآن نظريا وعمليا عدم خضوع مجموعة من الظواهر لقوانين، وإنما نستطيع أن نقول إن هذه القوانين موجودة ولكنها لم تكتشف بعد).

**ويقول فى مجال الإرادة الإنسانية:**

(إن كشف القوانين العلمية – فى مجال أعمال الإنسان – أمر يمكن تماما كما هو ممكن فى أى ميدان أخر، حقا يعترف العلماء بعدم قدرتهم على التنبؤ بأعمال الإنسان تنبؤا كاملاً أو يقرب من الكمال، ولكننا نرجع ذلك إلى تعقد الكيان الإنسانى وتضافر عوالم متعددة لإحداث السلوك.

الأمر إذن لا يعنى أن نفترض عدم وجود قوانين على الإطلاق، لأن مثل هذا الافتراض لن يثبت أبدا أمام الفحص الدقيق)[1].

ونحن نقوله له:

وهل ثبت أمام الفحص الدقيق أن العلم سيكشف حتما عن القوانين التى تحكم أعمال الإنسان وإرادته؟

إن جزم رسل بأن العلم سوف يصل فى المستقبل إن هو إلا اعتقاد إرادى مبنى على إيمان مطلق بقدرة العلم.

---

(١) العقل والدين ص ٨٨ – ٨٩.

يقول هانز ريشنباخ – وهو ملحد أيضا – (ليس هناك سبب يدعونا إلى افتراض أن الجزئيات تخضع لقوانين صارمة)[1].

إن رسل ليس لديه سبب للاعتقاد بأن العلم سوف يتمكن فى المستقبل من الوصول إلى معرفة ما يجهله اليوم سوى قوله:

(إن النظريات العلمية قد فسرت قدرا منها يكفى لترجيح الاعتقاد بأن هذه النظريات ستفسرها كلها مع الزمن...)[2].

إن رسل باعتقاده هنا أن العلم سيكشف فى المستقبل عن قوانين الذرة التى اكتشفنا جهلنا بها اليوم، يناقض نفسه إذ يقول فى موضع أخر:

(الآن وجب علينا أن نعترف بالجهل التام المطلق الذى لا استئصال له أبد الدهر بما تفعله الذرة فى لحظاتها الساكنة)[3].

وهنا نضرب فيما يلى مثالا على ما ينطوى عليه مثل هذا الاعتقاد من مجازفة وفساد:

ذلك أنه ذاع فى القرن الثامن عشر مذهب فى الانقلاب الجنينى يسمى "مذهب التكوين" وينحصر هذا المذهب فى القول بأن كل جرثومة حية تحوز حتما كل الأعضاء والصفات التى تمتاز بها الصورة فى حال بلوغها، وغاية ما فى الأمر أن المجهر المستعمل آنذاك ليس فى مستطاعه أن يكشف عن تلك الأعضاء الكائنة فى البيضة الأولى لصغر حجمها وضعف قوة الكشف فى المجهر

وإذن فالأمر مجرد قصور فى أجهزة الكشف والقياس، سوف يزول حتما بتقدم العلم والتوصل إلى أجهزة أدق.

يقول الأستاذ أشلى مونتاجيو (فى تلك الأيام التى كانت فيها المجاهر بدائية إلى حد كبير كان خيال العلماء يعوض مالا تستطيع العدسة القيام به.

---

(١) نشأة الفلسفة العلمية ١٤٧.

(٢) مجموعة عالما المجنون ص ٧٧.

(٣) العقل والمادة "مجموعة مقالات وأبحاث لبرتراند" جمعها وترجمها أحمد إبراهيم الشريف ص ٢٠١.

وهكذا كان ينظر إلى الحيوان المنوى على أنه رجل صغير كامل بالفعل، وجميع أجزائه متكونة من قبل، ولا ينتظر إلا الفرصة التى تسنح له للتكشف والتفتح.

وفى عام ١٧٥٩ وضع عالم ألمانى يدعى (كاسبار فلف) نظرية مضادة تعرف باسم "نظرية الخلق أو التكوين الجرثومى" تتلخص فى ان تطور الجنين يحدث بطريقة تلقائية تماما، وخطأ هذه النظرية ينحصر فى الاعتقاد بأن الجرثومة تخلو تماما من أى تكون عضوى..

هاتان النظريتان تنتميان الآن إلى التراث التاريخى للعلم وليس هناك اليوم عالم يؤمن بأيهما)[1].

ونحن نقصد بهذا أن تغطية الحاضر المعيب، بالثقة فى مستقبل تتوفر فيه الأدلة والبراهين.. كثيرا ما انتهى إلى خيبة ظن وانفضاح وفساد.

ولا يستعمل الملحدون العلميون سلاح الترقب للمستقبل هذا فى جبر عثرات العلم عندما يبدو ضعيفا فى مواجهة الدين فحسب.

وإنما هم يستعملونه فى الحالة العكسية أيضا... أى يستعملونه فى اتهام "العلم الحاضر" عندما يبدو وكأنه قد توصل إلى نتيجة مؤيدة للدين.

كما هو الحال فى القانون الثانى للديناميكا الحرارية الذى يدل على حدوث العالم ودلالة ذلك كله على الصناع..

فهنا نجدهم يشككون فى هذا القانون العلمى على أساس الاعتقاد الغيبى فى أن "مستقبل" العلم سوف يتراجع عن تأييده للدين..

أنظر ما يقوله رسل عن هذا القانون الثانى للديناميكا الحرارية الذى أشرنا إليه، يقول: (إن الاستدلال به ليس يقينا. فقد لا يسرى القانون الثانى للديناميكا الحرارية على كل زمان ومكان، أو قد مخطئين فى القول بأن الكون متناه فى المكان...) هكذا.. يبدو لنا شيئا فشيئا أن إلحاد هؤلاء محض "ارادة".

---

(١) الوراثة البشرية ث ٩٤ – ٩٤.

٤- يقول الدكتور ليكونت دى نوى:

(نسنا من أولئك الماديين العريقين الذين يتمسكون بآرائهم واعتقاداتهم رغم كونها سلبية بدون أى برهان:

فيعتقدون أن بداية الحياة، والتطور، والعقل البشرى، وولادة الأفكار الخلقية سوف تصبح تحت سيطرة العلم فى يوم ما، وينسون أن ذلك يتطلب تغييرا فى علومنا الحديثة، وبالتالى فإنه اعتقاد يرتكز على تعديلات عاطفية)[١].

إن هذه الموضوعات التى أشار إليها ليكونت دى نوى هى الموضوعات التى اختص بها الدين، أو الميتافيزيقا، وسماسرة الألحاد عندما يزيحون الدين عن هذه الموضوعات يضطرون - فى مواجهة إلحاح العقل البشرى - إلى إدخالها فى نطاق المستقبل "آخرة العلم" لا لشئ الا لتستكمل الدائرة، دائرة الحصار حول الدين.

**ثانيا: وفى ديانة المذهب الوضعى "ديانة الإنسانية"..**

(يستطيع الناس أن ينعموا فى الإنسانية. بالخلود الذى يتطلعون إليه. ذلك أن الإنسانية تضم إليها كل ما يطابق جوهرها وتحتفظ به وتتحد معه وكل ما يجعلها أعظم وأجمل وأقوى، وتتألف الإنسانية من الأموات.. أكثر مما تتألف من الأحياء، هؤلاء الأموات يعيشون.. فى ذكرى الأجيال الحاضرة.. وهى ذكرى متحركة فعالة مؤثرة: فالأموات يؤثرون فى الأحياء بما يبعثونه فيهم من غيرة نبيلة تدفعهم إلى أن يكونوا جديرين بالأنضواء تحت لواء أجدادهم العظماء)[٢].

أما الخلود الموضوعى الذى تقول به أديان أخرى فترفضه ديانه الوضعية إذ ما قيمة الاستمرار المادى فى المكان، بالقياس إلى الحياة المتصلة فى الزمان وفى الضمائر، هذه الحياة التى تحقق وحدها أعز رغبة لقلب الإنسان ألا وهى اتحاد النفوس فى الأزل)[٣]؟!

---

(١) مصير البشرية ص ١١٠.

(٢) هذه ليست حياة للأموات ولكنها فى الحقيقة ارتكاس إلى عبادة الأسلاف فى الديانات الوثنية.

(٣) العلم والدين لا ميل بوترو ص ٥١.

ثالثا – وفى الديانة الماركسية نجد الحلم الذى تنصبه للإنسانية فى قيام مستقبل تتحقق فيه الشيوعية، وتختفى الصراعات الطبقية وتزول الدولة، وتتوفر الاحتياجات كلها، لكل الأفراد.

والشيوعية إذ تمنى الشعوب الرازحة تحت سلطانها بمستقبل "آخرة" غير منظور فإنها تفعل ذلك لتبرير ما تقوم به من سحق الأجيال الحاضرة وتخديرها عن عذاباتها الراهنة "الدنيوية" وهذا هو ما تسجله الوقائع التاريخية فى البلاد التى نكبت بهذا النظام.

ومن هنا فإنه لينبغى القول بحق أن هذه الآخرة الشيوعية هى "أفيون الشعوب".

إن للالحاد نظامه المثلوب للمستقبل، وتوقعاته العرجاء التى يرسمها له، وهو يدعو إليه بمنطق الإيمان، لا بمنطق النقد العلمى الذى استعمله فى هدم الأنظمة الأخرى، ولا نكون مبالغين إذا ذهبنا مع القول بأن ثورته ضد الخوارق والمعجزات ليست إلا كراهية للاعتراف بوجود عنصر يمكن أن يشككنا فى المستقبل الذى يروج له فى سوق العلم.

وإذا كان من الصحيح ما يقوله وليم جيمس من أنه (لابد لكل مذهب فلسفى أو عقيدة دينية من تحديد إجمالى للمستقبل..)...

وإذا كان من الصحيح ما يقوله أيضا من أنه لابد لكى ينجح هذا التصور المستقبلى من أن: (يتناسب مع قوانا وميولنا الذاتية)[1]...

فإننا نقول إنه لابد لهذا التصور من أن يتصف قبل ذلك وبعد ذلك:

أولا: بالصدق.

ثانيا: بالقداسة.

ثالثا: باليقين.

رابعا: بالخلود.

---

(١) العقل والدين ص ٥٠، ٥١.

خامسا: الربط العملى بين "الحاضر: الدنيا: المستقبل: الآخرة".

ولا شك أن هذه الأنظمة الإلحادية لا تتصف واحدة منها بشئ من هذه القيم.

بل هى على العكس من ذلك.

تعلن إنكارها لها.

أو تجاهلها إياها.

أو استخفافها بها.

وهذا سر من أسرار فشل المذاهب المادية، وعجز أوثانها عن أن تحوز قبول الإنسان وإن لم يمنعها هذا الفشل من إنشاب أظافرها فى كيانه.

* * *

إن انتشار هذه المذاهب فى أرجاء من عالمنا الإسلامى إنما يرجع إلى أوضاع سياسية من جانب، وإلى تعمد الغموض فى عرضها من جانب أخر.

أهم هذه الأسباب فى رأينا هو جيل الرواد الثقافيين الذين رباهم الاستعمار فى هذه البلاد، حيث عمل على تربيتهم تربية ثقافية وعقلية ووجدانية قائمة على التنكر لأصالتهم وتراثهم، فنشأ من ثم هذا الجيل وهو متوجه بكليته للأخذ من المصادر الغربية، والاعتقاد بأن التقدم يعنى اقتباس الأنظمة الغربية بما تحتوى عليه من فلسفات، وعقائد مناقضة فى طبيعتها للإسلام، لقد تربوا فى حضن الاستعمار على الاعتقاد بأن التخلص من التخلف يقتضى التخلص من الإسلام نفسه، ولقد فعل الاستعمار ذلك اعتقادا منه بأن هذا الجيل الذى يربيه على هذا النحو، سوف يقوم مقامه فى التحكم فى مصائر هذه الشعوب عندما يضطر للرحيل، تحت ضغط النزعات القومية أو الوطنية، فيصبح القادة المنتخبون من هذا الجيل عملاء له يحكمون البلاد لحسابه، والذى حدث أنه بعد رحيل الاستعمار الغربى اتجهت بعض هذه العقول المستعمرة إلى المعسكر الشيوعى أو العلمانى، وهى فى كلا الحالين مدفوعة بالشعور بعدم الثقة فى النفس، والإحساس بالعبودية لسادتهم فى الغرب، ونحن فى الحقيقة إذ نرثى لهذا الجيل من الرواد خواءهم النفسى وخيانتهم لأنفسهم

وأوطانهم نطمئن إلى أنهم فضحوا بذلك أنفسهم أمام الجيل الذى يأتى من بعدهم وكشفوا عن عوارهم، ونأمل فى الجيل القادم أن يثوب إلى أصالته وأن يدرك أن الإسلام هو الضمان الوحيد للحرية والتقدم على السواء.

**خلاصة لهذا الباب**

وفى ضوء ما أثبتناه وأوردنه، فى هذا الباب ندعو القارئ إلى تدبر ما يأتى:

١ - أن الألحاد العلمى وهو يهاجم الدين لم يفعل إلا أن استبدل دينا بدين.

استبدل الدين المزيف بالدين الحق.

وقد انطوى دينه المزيف على الخصائص العامة التى هوجم الدين الحق من أجلها:

(أ) الاعتقاد الأولى أو الإيمان.

(ب) التسليم بالغيبيات.

(جـ) القول بالأصل القديم الذى يرجع إليه العالم.

(د) العبادة.

(هـ) وعد بالمستقبل.

وهذا فى حد ذاته كاف فى نقض الإلحاد العلمى، لأن فيه فضحا للكذب والدجل الذى ينطوى عليه موقفة فى انكار الدين.

٢ - أن الالحاد العلمى وقد استبدل بالمعبود الحق "الله" معبوداته الخاصة، لم يفعل إلا أن دعا الناس إلى الهبوط بمستوى معبوداتهم وإلا أن دعاهم إلى الشرك، وتعدد الآلة.

يقول لويس دى برولى:

(تبنى كثير من علماء اليوم – وهم فريسة لواقعية بارعة دون أن يدركوا ذلك – ميتافيزياء معينة ذات طابع مادى مكينى، معتبرين إياها التعبير ذاته عن الحقائق العلمية.

ومن أجل الخدمات التى قدمها التطور الحديث للفيزياء، للفكر المعاصر أنه دمر هذه الميتافيزياء المبسطة.

ووضع بنفس الضربة مشاكل فلسفية تقليدية معينة موضع التأمل من جديد، تحت أضواء جديدة كلية)[1].

(١) الفيزياء والمكروفيزياء ص ٢٦٧.